(تفسيرُ الشَّيخِ البرَّاك)

القارئ: أعوذُ باللهِ مِن الشَّيطانِ الرَّجيمِ: {وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٤٥) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١٤٧) وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٤٨) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٩) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٠) كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (١٥١) فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ} [البقرة:١٤٥-١٥٢]

الشيخ: إلى هنا.

الحمد لله، بعدما وجَّهَ اللهُ نبيَّهُ وعبادَهُ إلى القِبلةِ التي رَضِيَها لهم، وكان النبيُّ يتطلَّع لذلك {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا} [البقرة:١٤٤] أخبر -سبحانه وتعالى- أنَّ أهلَ الكتابِ لنْ يَتَّبِعُوا الرسولَ في ذلك {وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ} هذا -والله أعلم- خبرٌ عن أهل الكتابِ الموجودينَ حولَ المدينةِ عند الرسولِ -ﷺ-، فهو يخبر -تعالى- عن إصرارِهم وعنادِهم، {وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ}.

{وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ} نعم الرسولُ لن يَتَّبِع قبلتَهم بعد أنْ أمرَهُ اللهُ بالقِبلةِ التي رضيَها واختارَها له، {وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ} هذا راجعٌ -والله أعلم- إلى تفرُّقِهم، اليهودُ والنصارى كما تقدَّم، فاليهودُ تقول: {لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ} [البقرة:١١٣] والنصارى تقول: {لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ} [البقرة:١١٣]

{وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ} وفي هذا تحذيرٌ من الله لنبيِّهِ أن يتبعَ أهواءَ الكافرين، والرسولُ -عليه الصلاة والسلام- معصومٌ من ذلك، لكن الله -تعالى- يُحذِّرُهُ، وفي تحذيرِهِ تحذيرٌ لكلِّ المؤمنين.

{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}.

ثم أكَّدَ -سبحانه وتعالى- أمرَ القِبلة وفَرَضَ على عبادِه، فَرَضَ على نبيِّه وعلى المؤمنينَ التوجُّهَ إلى شطرِ المسجدِ الحرام، ففرضَ اللهُ على عباده استقبالَ الكعبةِ، {وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ} استقبالُ الكعبةِ هو الحقُّ الذي شرعَهُ الله لعبادِه، فالعدولُ عنه عدولٌ عن الحقِّ إلى الباطلِ، الآيات، نعم اقرأ شوي [قليلًا] من الآيات

القارئ: تفسير السعدي؟

الشيخ: إي إي

القارئ: يقولُ الشيخُ السَّعدي -رحمه الله-

الشيخ: {وَلَئِنْ أَتَيْتَ}

القارئ: قوله تعالى: {وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} الآية، كان النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- من كمالِ حرصِه على هدايةِ الخلقِ يبذلُ لهم غايةَ ما يقدرُ عليهِ من النَّصيحةِ، ويتلطَّفُ بهدايتِهم، ويحزنُ إذا لم ينقادُوا لأمرِ اللهِ، فكانَ من الكفار، مَن تمرَّدَ عن أمرِ الله، واستكبرَ على رسلِ اللهِ، وتركَ الهدى، عمدًا وعدوانًا، فمنهُمْ: اليهودُ والنَّصارى، أهلُ الكتابِ الأولِ، الذين كفروا بمحمَّدٍ -صلى الله عليه وسلم- عن يقينٍ، لا عَن جهلٍ، فلهذا أخبرَهُ اللهُ -تعالى- أنك لو {أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ} أي: بكلِّ برهانٍ ودليل يوضّحُ قولكَ ويُبيّنُ ما تدعو إليه، {مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ} أي: ما تبعوكَ؛ لأنَّ اتِّباعَ القِبلةِ، دليلٌ على اتباعِهِ؛ ولأنَّ السببَ هو شأنُ القِبلةِ، وإنَّما كان الأمرُ كذلك؛ لأنَّهم مُعانِدون، عرفوا الحقَّ وتركوهُ، فالآياتُ إنَّما تفيدُ وينتفعُ بها مَن يتطلَّبُ الحقَّ، وهو مُشتبِهٌ عليهِ،

الشيخ: {وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ} [يونس:١٠١] المُعانِدون ما [...] نعوذ بالله

القارئ: فتُوضَّحُ له الآياتُ البيِّناتُ، وأمَّا مَن جزمَ بعدمِ اتِّباعِ الحقِّ، فلا حيلةَ فيه.

وأيضًا فإنَّ اختلافَهم فيما بينهم، حاصلٌ، وبعضُهم، غيرُ تابعٍ قبلةَ بعضٍ، فليس بغريبٍ منهمْ مع ذلك أن لا يَتَّبِعُوا قِبْلَتَكَ يا محمَّد، وهم الأعداءُ حقيقةً الحسدةُ، وقوله: {وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ} أبلغُ من قوله: "وَلا تَتَّبِعْ"؛ لأنَّ ذلك يتضمَّنُ أنه -صلى الله عليه وسلم- اتَّصَفَ بمخالفتِهم، فلا يمكنُ وقوعُ ذلكَ منه، ولم يقلْ: "وَلَو أَتَوا بِكُلِّ آيَةٍ"؛ لأنَّهم لا دليلَ لهم على قولِهم.

وكذلك إذا تبيَّنَ الحقُّ بأدلتِهِ اليقينيَّةِ، لم يلزمِ الإتيان بأجوبةِ الشُّبه الواردةِ عليه، لأنَّها لا حدَّ لها، ولأنهُ يعلمُ بطلانُها، للعلمِ بأنَّ كلَّ ما نافى الحقَّ الواضحَ، فهو باطلٌ،

الشيخ: هذه قاعدةٌ مهمةٌ، وهي أنه إذا وضحَ الحقُّ وظهرَ برهانُهُ فكلُّ ما يُستدَلُّ به على معارضتِهِ فهو باطلٌ؛ لأنه قد فُرِغَ منه، إنَّ هذا لهو الحقّ، [....]، إذن فمن الممتنعِ أن يقومَ على الحقِّ ما يدلُّ على بطلانِه،

هذا ممتنعٌ، ما دام أنه قد عُلِمَ أنه حقٌّ وأنه ثابتٌ وقامتْ عليه الأدلَّةُ فهذا يستلزمُ بطلانَ كلِّ دليلٍ وكلَّ شبهةٍ سواءً علمنا جوابَها أو..، فلا يلزمُ في مثلِ هذا أنْ نجيبَ عن كلِّ شبهةٍ يُدلي بها مُبْطِلٌ، مجردُ أن هذه الشبهةَ يُقصَدُ بها إبطالُ الحقِّ ومعارضةُ الحقِّ فهذا كافٍ في القطعِ ببطلانِها.

القارئ: فيكون حلَّ الشَّبَهُ مِن بابِ التبرُّعِ.

{وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ} إنما قالَ: "أَهْوَاءَهُمْ" ولم يقل: "دينَهم"؛ لأنَّ ما هم عليه مُجرَّد أهويةُ نفسٍ، حتى هم في قلوبِهم يعلمون أنه ليسَ بدينٍ، ومَن تركَ الدِّينَ، اتَّبَعَ الهوى ولا محالةَ، قالَ تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ} [الجاثية:٢٣]

الشيخ: وهو اسمُ دِين، هو دينُهم الباطل، {لَكُمْ دِينُكُمْ} [الكافرون:٦] ودينُهم هو مِن أهوائهم، الدِّين الذي يَتديَّنونَ به المشركون {إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ} [النجم:٢٣]

القارئ: {مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ} بأنكَ على الحق، وهم على الباطلِ، {إِنَّكَ إِذًا} أي: إنْ اتَّبَعْتَهُم، فهذا احترازٌ؛ لِئَلَّا تنفصلَ هذه الجملةُ عمَّا قبلَها، ولو في الأفهامِ، {لَمِنَ الظَّالِمِينَ} أي: داخلٌ فيهم، ومندرجٌ في جملتِهم، وأيُّ ظلمٍ أعظمُ مِن ظلمِ مَن عَلِمَ الحقَّ والباطلَ، فآثرَ الباطلَ على الحقِّ، وهذا وإنْ كانَ الخطابُ لهُ –صلى الله عليه وسلم– فإنَّ أمَّتَهُ داخلةٌ في ذلك، وأيضًا، فإذا كانَ هو –صلى الله عليه وسلم– لو فعلَ ذلكَ –وحاشاهُ– صار ظالمًا مع علوِّ مرتبتِهِ، وكثرةِ حسناتِهِ فغيرُهُ مِن بابِ أولى.

ثم قال تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ}

الشيخ: إلى آخره، يطول.